العرب
الإثنين 2020/03/16
السنة 42 العدد 11648

غبار غامض يضرب الأرض وضحاياه نساء

«ليس غير».. عالم ديستوبي ومطاردون غير مرئيين يستهدفون القبض على حواء

رجل وحبيبته يبحثان عن خلاص وسط ملاحقات غريبة تستهدف المرأة

واحدة من ثيمات أفلام الخيال العلمي تتعلق بالكوارث التي تضرب المجتمعات سواء منها الحروب أو ثورات الطبيعة وخلال ذلك تبقى قصص الناجين من تلك الكوارث، وتصرفاتهم في أزمنة الكوارث ومصائرهم هي القصص المثيرة لخيال الكتاب والسينمائيين.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

من أفلام الكوارث وعوالمها التشاؤومية فيلم المخرج الأميركي تاكاشي وهو شريط سينمائي ينتقل بنا إلى عالم ديستوبي قاحل، مشاهد متتابعة للشوارع المقفرة والمهجورة والخواء الذي يعم كل شيء.

في مشهد لاحق من هذا الفيلم لن تكون هنالك سوى شخصيتين، هما ويل (الممثل ليسلي أودوم) وإيفا (الممثلة فريدا بينتو)، ويبدوان كأنهما الناجيان الوحيدان.

تداهم وحدات من الشرطة وهي ترتدي أقنعة ضد الغازات مسكن ويل وإيفا لنكتشف أن المنزل أقرب ما يكون إلى لمخر صحي، حيث يقوم ويل بإخفاء إيفا عن عيون الشرطة التي سوف نكتشف أيضا أنها بصدد البحث عن أي امرأة لا تزال على قيد الحياة. (ولنلاحظ هنا أن اسم البطلة هو إيفا أو حواء، ولهذا دلالته في الفيلم).

والقصة الغرائبية تتلخص في أن غبارا سمّيًا مجهولا ضرب الأرض، وضحاياه من النساء، ولكي لا تتسع الكارثة ويتم تحجيمها يتم جمع النساء الباقيات على قيد الحياة وإنهاء حياتهن على أمل انتهاء عاصفة الغبار السام.

يحاول ويل الاحتفاظ بحبيبته وزوجته بشتى الطرق لكي تواصل العيش إلى أطول مدة ممكنة، لكنه يضطر في النهاية إلى الذهاب بها بعيدا باتجاه الغابات لكي يكون في منأى عن عيون الشرطة.

في وسط هذه الأجواء القاتمة سوف نشهد حسّا إنسانيا عميقا تستند إليه هذه الدراما الفيلمية من خلال ذلك النوع من التحدي والإصرار على الحياة واستمرارها.

على أن التحدي الذي سوف تواجهه الشخصيتان هو ما يشبه الصراع من أجل البقاء فالعالم يتآكل ولكن المفارقة أن المرأة تصبح هدفا ولهذا يصنع ويل لوحة كبيرة فيها صور حشد من النساء وتواريخ رحيل كل منهن.

المأساة لا تنتهي والغبار السام يضرب الجميع ولهذا تتخذ الحكومة قرارا بمنح مكافأة ضخمة لمن يدل على أي امرأة لكي يتم التخلص من ذلك المأزق.

بدت تلك الدراما مؤطرة بالشخصيتين الرئيسيتين وهما تبحثان عن خلاص لكن ما لم يكن في الحسبان أن تتعرضا لملاحقة مباغتة تقلب كل شيء ولا تتضح جدوى تلك الملاحقة ولا هدفها سواء أكان الهدف البحث عن الجائزة أم غير ذلك، لكنها سوف تكشف عن عناء طويل يلاحق الشخصيتين.

حرص المخرج على بناء نسيج درامي متميز على الرغم من محدودية الشخصيات، إلا أن مجرد وجودهما والحوارات التي كانت تجري بينهما كانت تكشف عن معاناة عميقة لشخصيات أخرى ونساء أخريات محاصرات ما بين المكافأة السخية للقبض عليهن وبين الكارثة المتمثلة بذلك الغبار السمّي القاتل.

خلال ذلك استخدم المخرج الانتقالات المكانية من وجهة نظر الشخصيات في وسط المدينة التي تغرق في الصمت وحيث توارى البشر باحثين عن ملاذات ولا تعرف مصيرا محددا يسير إليه الجميع.

> الفيلم يتناول موضوع الأوبئة والكوارث الطبيعية التي تضرب الأرض لكنه أيضا يلمح في فكرته إلى ما يعرف بالغبار الذري

ينتظم الفيلم في قائمة الأفلام التي تناولت موضوع الأوبئة والكوارث والعوارض الطبيعية التي تضرب الأرض لكنه أيضا يلج في فكرته وبشكل غير مباشر إلى ما يعرف بالغبار الذري ولكن وفي جميع الأحوال هنالك أزمة تتفاقم في واقع سوداوي قاتم.

ولنذهب مع ويل وهو يقيم حوارا صامتا مع الشخصيات والأماكن التي فقدت بهاءها والخراب الذي يلاحقها، وهي التفاتات مهمة في المشاهد الفيلمية خاصة تلك التي تظهر عزلته وسعيه لإنقاذ إيفا.

في المقابل وفي سياق هارموني ملفت للنظر تسعى إيفا لإخفاء معالم أنوثتها بتغطية صدرها بقماش محكم وارتدائها ملابس ذكورية وذلك لتفادي صيادي الجوائز.

ومع كل تلك التدابير إلا أن الشخصيات بدت ملاحقة بقوة قدرية سوف تطالهما لا محالة مهما حاولا التخفي والتواري عن الأنظار.

للوهلة الأولى تبدو الحالة سائبة وغير واضحة تلك العيون التي تترصد المتبقين والناجين، لكن إحساسا داخليا كانت تعيشه الشخصيات ظل هو الذي يحركها وهي تعيش تلك الأزمة والمسير إلى المجهول ومواجهة القدر والمصير المحتوم. في هذا المسار الجديد الممثل في خط سردي يختصر فكرة الملاحقة والاختباء يتجلى ذلك الإحساس العميق بالاغتراب والعزلة الذي ينتاب ويل، فهو من جهة يسعى لإخفاء إيفا ولكن من جهة أخرى يجد نفسه أمام قوة شرسة تلاحقه وتلاحقها وتلاحق من تبقوا على قيد الحياة تحسبا لإخفائهم أي امرأة قد تكون سببا في إطالة أمد العاصفة.

لا شك أن فكرة إنهاء وجود المرأة في هذه الدراما الفيلمية هي فكرة إشكالية في حد ذاتها. ولهذا فإن مسار الفيلم وأحداثه لن تقودنا إلى خلاصات أبعد مما توصلنا إليه من خلال المشاهد الفيلمية وإلا سوف يكون السؤال عن شكل الحياة والمصير والمستقبل من دون المرأة.

تكاملت في هذا الفيلم الحوارات مع بناء المشاهد الفيلمية في تلك البيئة المقفرة والمعزولة، وبدا الهم الإنساني هو الأكثر بروزا وأهمية عما عداه. بمعنى أن القصة الفيلمية ركزت على محور وجداني وعاطفي وفلسفي عميق يحتمل كثيرا من التأويلات.

سيزان والفن الإيطالي بين التأثر والتأثير

حتى مطلع يوليو / تموز القادم، ينظم متحف مارموتان موني بباريس معرضا فنيا يتناول تأثر الفرنسي سيزان بالفن الإيطالي، وخاصة فناني البندقية ونابولي وروما، رغم أنه لم يزر إيطاليا مطلقا، بل اكتفى بمشاهدتها في متحف اللوفر.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

المعرض الذي يقام حاليا في متحف مارموتان موني بباريس لا يتناول تجربة بول سيزان (1839–1906) في حدّ ذاتها، بقدر ما ينظر إليها من زاوية علاقة صاحبها بالفن الإيطالي، وتأثره بأعلام القرنين السادس عشر والسابع عشر أمثال تينتوريتّو، وجاكوبو باسّانو، والغريكو، ولوكا جوردانو، ثم تأثيره في الأجيال الجديدة ممثلة في أومبرتو بوتشوني، وكارلو كارّا، وجورجو موراندیني، وماريو سيروني ممن أداروا الظهر للتكعيبية الفرنسية.

الطريف أن سيزان لم يزر إيطاليا مطلقا، فقد أقام في سبعينات القرن التاسع عشر قرب صديقه كميل بيسارو في ضاحيتي بونتواز ثم أوفير الواقعتين على ضفاف نهر الواز، بعد أن تبنى تجربة الانطباعيين، وشاركهم بعض معارضهم، ولكن ثقافته الكلاسيكية وإحساسه الفطري بالأشكال المبنية جعلاه ينأى شيئا فشيئا عن المقاربة الانطباعية، واكتشف في جمال مشاهد منطقة البروفانس قرب جبال الآلب طريقا آخر. وبينما كان زملاؤه يعتقدون أن إيطاليا لم تعد سوى مخزن لقطع بالية، بحث هو عن ضالته في المشهد الروماني عند نيكولا بوسّان، أكثر الفنانين الفرنسيين تمثلا لروما، وكذلك عند فناني فينيسيا مثل تينتوريتي، وفناني نابولي مثل خوسي دي ريبيرا (الإسباني الأصل) ليستلهم أسس رؤيته المجددة.

لم يكتشف أعمالهم على عين المكان، بل من خلال زياراته المتكررة إلى متحف اللوفر. وكان لا يرسم مشاهداته، بل يكتفي بتأمل لوحات الكبار، والتشبع بأساليبهم وطرق تصرفهم في الضوء واللون، ليبدع أعماله الخاصة. كان يبحث عن سبل إلغاء الفكرة، ومعنى الخط نفسه، قائلا "لا توجد خطوط في الطبيعة، ولا مجال لأن توجد في اللوحة". لم يكن سيزان يُعد رسوما تخطيطية، عبر مراحل متتالية تبدأ بالمسودة ثم الرسم، ثم التأطير، وصولا إلى استعمال الفرشة والألوان، إذ أخذ عن الفينيسيين اللمسة، التي تعوض في نظره الخط والشكل والصبغة واللون والفروق. فهي التي تكيّف اللوحة، والفن التشكيلي برمته.

عرف سيزان بلوحات تصور مشاهد هادئة أو طبيعة ميّتة، ولكنه وجد في الفن الإيطالي شدّة تذكر بأعماله الأولى، إذ كانت تصور العنف والالتواء والعذاب في نوع من الاحتفال الطقوسي الرهيب، كما في لوحة "المرأة المخنوقة" التي تستلهم الجانب التراجيدي عند تينتوريتّي في تصويره لمشهد طريق الصليب. ولوحته عن غسل الميت تحيل على لوحة "إنزال المسيح من الصليب" لخوسي دي ريبيرا. أو في البورتريه الذي رسمه لأمه عام 1870، ففيه صدى للوحة "النبيّ يقرأ" لرسام مجهول عاش ما بين 1630 و1650 في نابولي وكان يوقع لوحته باسم "سيد إعلان الرعاة". ورغم أن سيزان لا يستنسخ الأعمال التي يشاهدها كما أسلفنا، فإن تحاليل الكتل المائلة أو العمودية للوحاته تكشف عن شبه كبير في البنى والديناميات.

عندما استقر سيزان في إيكس أن بروفانس جنوب فرنسا بداية من عام 1880، صارت لوحاته أقل عنفا، وصارت لمسة مشاهده البروفانسية أكثر رصانة وكلاسيكية وتعبيرا عن الداخل، ولكن البعد الرومانسي حسب تعبير مؤرخ الفن ألان تابيي ظل حاضرا، فقد حرص دائما على إيجاد انفعالات تشكيلية تعكس المشاعر التي تعتريه. ومن ثَمّ، لم يعد للموضوع كبير أهمية، وسواء تعلق الأمر بسابحات أو مشهد طبيعي فالمقاربة تظل هي نفسها، إذ يمكن أن يرسم وجها بطريقة طبيعة ميتة، كما فعل مع زوجته حين رسمها مثل آلة إعداد القهوة، لأن الرسم في تصوره لا يكمن في ما نشاهد، بل في ما وراءه. وعندما رسم طبيعة ميتة تمثل جمجمة، لم تكن غايته تثبيت موضوع ما كي لا يغمره النسيان، لأن غايته هي الجمجمة نفسها، حيث استعملها لرسم التفاح والأباريق وكل ما يدخل في مفهومه للتضمين، بخلاف سلفاتور روزا الذي يبدو كمن يسخر من الموت حين يضع جمجمة مفتوحة الفم وهي تغني أمام مدوّنة موسيقية.

ولئن تأثر سيزان بالفن الإيطالي، فإن فناني النوفيتشنتو، أمثال بوتشوني وموراندیني وبيراندیلو وسيروني، الذين شكلوا في مطلع القرن العشرين حركة تناهض الطلائعية والمستقبلية وتسعى إلى تصوير الانسجام في لوحاتها، تأثروا به إلى حدّ بعيد، فقد أحدثوا قطيعة مع اللوحات الدينية والميثولوجية ليتبنّوا الثيمات الأثيرة لدى سيزان كالمناظر الطبيعية، والوجوه الآدمية، والطبيعة الميتة.

> عندما استقر سيزان في إيكس أن بروفانس جنوب فرنسا بدءا من عام 1880، صارت لوحاته أقل عنفا

وقد ركز منظمو المعرض على تلك الثنائية التي ميزت تجربة سيزان في علاقته بالفن الإيطالي، ونعني بها تأثره بأعلام النهضة الإيطالية وما بعدها، وتأثيره هو في الجيل الذي ظهر في مطلع القرن الماضي، حيث وضعت نحو ستين لوحة لسيزان من جهة وللفنانين الإيطاليين السابقين واللاحقين من جهة ثانية، للوقوف على مدى تفاعل الجانبين، وإن كان المعرض في أساسه مركزا على جانب من تجربة بول سيزان، هذا الفنان الذي انتمى في بدايته إلى الانطباعيين قبل أن يتجه وجهة أخرى ليخط مجراه وفق أحاسيسه ومشاعره، ورؤيته الجمالية.

الشفافية سمة ظلت تسبق الموضوع في أعمال سيزان

الجمال كريم بطبعه

فاروق يوسف
كاتب عراقي

نحب المديح. يفعل الإنسان الأشياء الحسنة من أجل أن يرى تأثيرها على الآخرين الذين يردون إليه الإحسان عن طريق الثناء عليه.

ذلك أمر طبيعي. ولكنها عادة سيئة إن تمكنت من المرء. فهناك ما يمكن أن تفعله عن قناعة من غير أن تفكر في مردوده. إنك تفعل ما يرضيك.

في سياق ذلك أكتب عن أشياء أحبها. من غير أن أنتظر من أصحابها أن يثنوا علي. لقد فعلت ما رأيته مناسبا لسعادتي.

الكتابة عن الآخرين فيها الكثير من الكتابة الشخصية. ذلك لأنها تتعلق بذائقتي الجمالية التي أستطيع أن أقول إنها مع مضي الوقت صارت تعبر عن طريقتي في التفكير في الفن.

لذلك فإنني حين أكتب عن تجربة رسام ما إنما أسعى إلى نشر مفردات ذائقتي وأحاول أن أستميل القراء إلى نوع بعينه من الفن، هو ذلك النوع الذي أحبه.

لذلك لم أكن في حاجة إلى كلمة شكر من الفنان الذي أكتب عن تجربته بقدر ما كنت أشعر أنني مدين له بالشكر لأنني من خلال الكتابة عن تجربته كتبت عن تجربتي في التذوق الجمالي.

غير أن هناك اتصالين تلقيتهما من فنانين كتبت عنهما كانا بالنسبة لي أشبه بالمعجزة.

اتصل بي الفنان السعودي طه الصبان من غرفة العمليات ليشكرني وكتبت لي الفنانة اليمنية آمنة النصيري من بين ركام الحرب رسالة لتشكرني. وفي الحالين قلت لنفسي "إنها معجزة الجمال الذي يستدعي التفكير في الحب" كنت في الحالين عاجزا عن القبول بالموقف باعتباره مديحا.

كان الصبان يقاوم السرطان وكانت النصيري تقاوم الحرب وكنت من خلالهما قد استحضرت مزاجي الجمالي المريح. كنت على المستوى الإنساني أكثر الثلاثة ضعفا. أنا المدين بالشكر.

لقد حارب الاثنان عبر حياتيهما من أجل الجمال غير أنهما تفوقا علي. الأول يحارب المرض والثانية تحارب الحرب.

كانا أفضل من الكائنين اللذين كتبت عنهما. لقد تفوقا علي. نلت جائزة لا أستحقها من خلال مديحهما. كانا كريمين.